ملامح ثقافة الوسطية والاعتدال في الخطاب الديني الإسلامي

Features of culture of moderation and moderation in Islamic religious .discourse

آمال علاوشيش

amel.alaouchiche

[1]جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله، (الجزائر)، amel.alaouchiche@univ-alger2.dz

مخبر مشكلات الحضارة والتاريخ في الجزائر

تاريخ ارسال المقال: 2021/12/01	تاريخ القبول: 2021/12/20	تاريخ النشر: 2022/01/01

*آمال علاوشيش

الملخص:

مما لا شكّ فيه أنّ الإنسان بطبعه يكره التطرف والمغالاة ويحبّ أوسط الأمور لأنّه غالباً ما تكُون أيسرها، وفي هذا السّياق كانت الشّريعة الإسلامية ديناً سماوياً تميّز بهذه السّمة من خلال سلوك معتنقيها، عبادةً وعقيدةً ومعاملةً. سنحاول من خلال هذه الورقة أن نتناول مفهوم الوسطية، ركائزها أو مبادئها في مصادر الشّريعة الإسلاميّة، لنقف عند أهّم المعيقات الّتي تقف حجر عثرةٍ في طريق إرساء طرقٍ للحوار ودعم ثقافة التّسامح والتعايش والاعتراف بالآخر، وذلك بسبب ما يبذله الغرب عبر وسائل الإعلام العالميّة من مجهوداتٍ مغرضة تهدف إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين.

الكلمات المفتاحية:الوسطية، التيسير، التطرف، التعايش، ثقافة التسامح.

Abstract :

There is no doubt that the human nature hate extremism and exaggeration and love the middle of things because it is often easier, and in this context, Islamic law was a divine religion that characterizes this attribute through the behavior of adherents, worship and faith and treatment. In this paper we will try to address the concept of moderation, its pillars or principles in the sources of Islamic law, to stand at the most important obstacles that stand in the way of establishing ways of dialogue and support a culture of tolerance and co-existence and recognition of the other because of the West through the media world of malicious efforts Aimed at distorting the image of Islam and Muslims.

Keywords : Moderation, facilitation , extremism , coexistence , a culture of tolerance.

مقدّمة:

يقول تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرّسول عليكم شهيدا..﴾ سورة البقرة- آية 143.

ممّا لا جدال فيه أنّ الإسلام منهج اعتدالٍ ووسطية ويسرٍ، فالشّريعة الإسلاميّة دينٌ مرنٌ صالحٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ وجديرٌ بأن يواكب بتعاليمه كلّ التّطورات الّتي يشهدها العالم المعاصر، السّياسية منها والاقتصادية والاجتماعيّة والعلميّة والأمنية. في هذا السّياق فإنّ الأزمات الّتي يعرفها الواقع المعيش سواءٌ على المستوى المحلّي أو القوميّ أو العالميّ والإنسانيّ إنّما يعُود سببها على ما نعتقد إلى طبيعة الخطاب المتطرّف الّذي يُقدّم للمواطن من طرف أجهزةٍ شتى بدءاً من الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام على تنوّعها، وقد شهدنا في الجزائر إبّان الأزمة الأمنية الخانقة تدهوراً لا مثيل له مسّ الفرد في حياته وممتلكاته، ولهذا فإنّ الخوض في مثل هذا الموضوع الحيويّ يعدّ ضرورةً ملحّة نظراً للهجمة الشّرسة الّتي تشنّ على الإسلام، والّتي ينبغي الردّ عليها ومجابهتها بدءاً من تصحيح المفاهيم. ولهذا فإنّنا سنحاول في هذه الورقة البحثية تناول الإشكالية التالية: ما هو مفهوم الوسطية، وما هي مظاهرها في الخطاب الديني؟ كيف نتجنب التطرف والغلو، وكيف يؤثر خطاب الاعتدال إيجاباً على الفرد والمجتمع؟ وما السّبيل إلى تحقيق واقعٍ يسوده التّفاهم والتّسامح بين جميع شرائحه دون تمييز؟

هذا ما سنحاول تناوله من خلال الخوض في العناصر الآتية:

أولاً- مفهوم الوسطية ومشروعيتها في الإسلام.

ثانياً- ركائزها (مبادؤها) في مصادر التّشريع.

ثالثاً- الوسطية في الخطاب الديني: الملامح والمعوقات وتداعيات الغياب.

نتائج (خاتمة)

المبحث الأول: مفهوم الوسطية ومشروعيتها في الإسلام.

مما لاشكّ فيه أن الوسطية والاعتدال كما هو مفهومٌ شرعيّ يعدّ مفهوماً فلسفياً بامتياز، بخاصّةٍ عندما يرتبط بمفاهيم مثل التّسامح والسّلام والتعّايش وغيرها، ممّا من شأنه أن يكرّس ثقافة العيش المشترك، وقد ورد ذكره عند الكثيرين أمثال أرسطو (384-322) ق.م والفارابي (874-950) بل وحتى عند هيغل (1770-1831) والمتصوّفة، وما يهمّنا في سياق هذه الورقة هو الجانب الشرعي فيه.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للوسطية.

الوسطية كما يرى حسن حنفي مفهوم له أصول يونانية وجذور إسلامية ودوافع راهنة، وهو اللّفظ الأكثر شيوعاً واستعمالاً ويعني الوسط بين اثنين، ويختلف عن الاعتدال(moderation)، وهو ما نجده عند أرسطو ولاحقاً عند مسكويه (932-1030) في أنّ الفضيلة وسط بين رذيلتين كالشجاعة بين التّهور والجبن، ويضيف حسن حنفي أنّ لفظ "وسط" ومشتقاته ورد في القرآن الكريم خمس مرات:

- ✓ في قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ – سورة البقرة 238: وتعني الوسطية في الصلاة، أو الوسطية في الزمان.
- ✓ في قوله تعالى: ﴿قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبّحون﴾ – سورة القلم 28: وتعني الوسطية في الأبناء (بشرط وجود عدد فرد).
- ✓ في قوله تعالى: ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ – سورة المائدة 89: وتعني الاعتدال (لا الزهد ولا الشّره).
- ✓ في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرّسول عليكم شهيدا﴾ – سورة البقرة 143: وتعني الوسطية بين الأمم/لا شرقية ولا غربية، حيث يكون المسلمون في مرتبة الشهود العقلي والقيمي على البشرية، وفي موقع المسئولية الحضارية أيضاً، وهم لا يبلغون ذلك إلاّ بالجهد المعرفي الفائق وبالمناقب الأخلاقية العالية، وتلك هي الأفضلية المرهونة بأسبابها ى التّمييز العرقي المزعوم، ولا ما ينحدر في الأصلاب من أخلاط الأعراق والأسباب[1].
- ✓ في قوله تعالى: ﴿فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً﴾ – سورة العاديات 5/4: وتعني عدم التطرف والترجيح بين الأطراف المتباعدة[2].

من هنا يبدو أنّ الإسلام دينٌ وسطيّ يرفض التّطرف والمغالاة، ولكنّه صارمٌ في الآن نفسه باعتبار المواقف، حيث تشير الكثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ – سورة الكافرون 6، وغيرها إلى ضرورة تبني أحد الخيارين[3].

وقد ورد في **لسان العرب** لابن منظور أنّ وسط الشيء يعني ما بين طرفيه وهو اسم لما بين طرفي الشيء، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ أي عدلاً، أمّا لفظ وسْط بسكون السين فهي ظرف وتعني "بين" كأن نقول: جلست وسْط القوم أي بينهم، ويقال فيما كان متفرّق الأجزاء غير متّصل كالنّاس والدّواب وغير ذلك. ووسَط الشيء يعني صار بأوسطه ويقال: وسَطْتُ القوم أسِطَهم وسْطاً وسِطةً أي توسّطتُهم، ووسَطَ الشيء وتوسّطَه" صار في وسطية، ووسوط الشمس: توسّطها السّماء[4].

وواسطة القلادة: الدرة الّتي في وسطها وهي أنفس خرزها، وفي الصّحاح" واسطة القلادة الجوهر الّذي في وسطها وهو أجودها، ويقال: علّمني ديناً وُسُوطاً لا ذاهباً فروطاً ولا ساقطاً سقوطاً، فإنّ الوسوط ههنا المتوسّط بين الغالي والتّالي. وعن "خير الأمور أوساطها" قال ابن الأثير في الحديث: كلّ خصلةٍ محمودةٍ فلها طرفان مذمومان، فإنّ السّخاء وسطٌ بين البخل والتّبذير، والشّجاعة وسطٌ بين الجبن والتّهور، وأبعد الجهات والمقادير

والمعاني من كلّ طرفين وسطهما، وهو غاية البعد منهما، فإذا كان في الوسط فقد بعُد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان[5].

ويقال: هو من أوسط قومه أي خيارهم، وفي الحديث أنّه كان من أوسط قومه أي من أشرفهم وأحسبهم، والرجل الوسيط هو الحسيب في قومه، والتّوسيط أن تجعل الشيء في الوسط، كما تعني قطع الشيء نصفين، ووسط الشيء أعدله[6].

أمّا **اصطلاحاً** فالوسطية عند يوسف القرضاوي تعني "التّوازن" أي التّوسط، أو التّعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتّأثير ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه. مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الرّوحية والمادّية، أو الفردية والجماعية، والواقعية والمثالية، والثّبات والتّغير، وما شابههما، ومعنى التّوازن بينهما: أن يفسح لكلّ طرفٍ منهما مجاله، ويعطى حقه "بالقسط" أو "بالقسطاس المستقيم" بلا وكس ولا شطط، ولا غلوّ ولا تقصير، ولا طغيان ولا إخسار، كما أشار إلى ذلك كتاب اللّه بقوله: ﴿والسّماء رفعها ووضع الميزان، ألاّ تطغوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾– سورة الرحمان، 7-9[7].

ومن معاني الوسطية **العدل** الّذي يعد ضرورة لقبول شهادة الشاهد، وهو والتوسط والتوازن عبارات متقاربة المعنى، لأنّ العدل في الحقيقة هو توسّط بين الطرفين المتنازعين أو الأطراف المتنازعة دون ميلٍ أو تحيّز لأحدهما أو أحدها، وهو بعبارةٍ أخرى: موازنة بين هذه الأطراف بحيث يعطي كل منها حقه دون بخس ولا جور عليه، ولا محاباة له[8].

كما تعني **الاستقامة** أي استقامة المنهج والبعد عن الميل والانحراف، وبتعبير القرآن الكريم في سورة الفاتحة ﴿**الصّراط المستقيم**﴾ أي الطريق السوي الواقع وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب، وتعني الوسطية أيضاً **الخيرية** وتمثّل الأمان وهي معاني وردت في معاجم اللّغة، بالإضافة إلى أنّها دليل قوة مثل مرحلة الشباب الّتي تتوسّط ضعف الطفولة والشيخوخة، وتمثّل مركز الوحدة ونقطة التّلاقي باعتبارها المنتصف والمركز[9].

والتوسّط أو الاعتدال عند أحمد الشرباصي هو الصّفة الأساسية للأمة الإسلامية المحمدية، فيسلك المرء طريق الرّشاد والاعتدال والاستقامة بلا إفراطٍ أو تفريط، فالطريق الوسط لا عوج فيه ولا تقصير ولا إسراف[10].

المطلب الثاني: مظاهرها.

تتجلّى هذه المظاهر واضحة في كلّ جوانب هذا الدين في مستواه العمليّ أو النّظري والتّربوي والتّشريعي وهي:

- ✓ **وسطية الإسلام في العقيدة أو في الاعتقاد:** وتعني نقاؤها وصفاؤها ونفي الخرافات والأضاليل عنها، وإبعاد لوثات المنحرفين وذوي الأهواء والشّهوات، فهي إيمان بالله الواحد واليوم الآخر وبالأنبياء والرّسل والكتب السّماوية، إيماناً لا يتطرّق إليه الزّيغ والانحراف، ووسطية الإسلام في عقيدته تستبعد عقائد النسخ والحلول والثنوية والماركسية والداروينية والفرويدية والإلحاد والوجودية، وعبادة الجنس في الإباحية أو إباحة القتل في الإجهاض، والقتل الرحيم وعبادة الشيطان وغيرها من البدع الّتي انتشرت بين الدجّالين والمشعوذين[11].

- ✓ **وسطية الإسلام في المسلك والسّلوك (الخلق) والعبادات والشعائر**: حيث لا رهبانية في الإسلام ولا تنسّك أو تألّه، وهي لذلك تعني التّوفيق بين مطالب الجسد والرّوح، فلا تقشف إلى حد تعطيل وظيفة الإنسان في الحياة ولا ترف، فالإسلام وسط بين المثالية المتطرّفة والواقعيّة المغالية، لأنّ الإنسان ليس ملاكاً ولا حيواناً، هو ليس خيراً مطلقاً ولا شراً مطلقاً، بل فيه الشّهوة كما فيه العقل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ونفسٍ وما سوّاها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكّاها، وقد خاب من دسّاها﴾ – سورة الشمس،7-9 هذه الوسطية هي وسطية في المشي والمعاملة والعدل في إعطاء الحقوق وفي التّناصر بين المسلمين[12]، ومعنى ذلك أنّ الإسلام يقرّ بوجود النّزعات والميول الّتي لا يمكن نكرانها ليتماشى بذلك مع الفطرة.
- ✓ **وسطية التشريع في الإسلام**: الإسلام وسط في تشريعه ونظامه القانوني والاجتماعي، فهو وسطٌ في التّحليل بين اليهودية الّتي أسرفت في التحريم وكثرت فيها المحرّمات، وبين المسيحية التي أسرفت في الإباحة حتى أحلّت الأشياء المنصوص على تحريمها في التوراة مع أنّ الإنجيل يعلن أنّ المسيح لم يجئ لينقض ناموس التوراة بل ليكمّله، فالإسلام أحلّ وحرّم ولكنّ التّحريم من حق الله تعالى وحده، وهو وسطٌ في شؤون الأسرة، وسطٌ بين من شرعوا تعدّد الزوجات بغير عددٍ ولا قيدٍ، وبين الّذين رفضوه وأنكروه حتّى لو اقتضته المصلحة وفرضته الضّرورة والحاجة، وهو وسطٌ في الطلاق بين من حرّموه حتّى لو استحالت الحياة الزوجية إلى جحيم مثل الكاثوليك، وبين من لم يقيّدوه بشرط. كما أنّ الإسلام وسطٌ في تشريعه ونظامه بين الليبرالية أو الرأسمالية الّتي تعلي من شأن الفرد والماركسية والجماعية الّتي تضخّم من دور المجتمع، حيث أقام توازناً بين الفردية من جهة والجماعية من جهةٍ ثانية[13].
- ✓ **تكامل نظام المسئولية المدنية والجنائية**: المسئولية عنوان التّكريم الإنساني وعماد المسئوليات الدنيوية هو النّظام المدني من خلال تنظيم العقود والأنشطة الاقتصاديّة من إنتاجٍ واستثمار وتوزيع وادّخار، وتوجيه كلّ الأنشطة الصّناعية والتّجارية والخدماتية نحو تحقيق مصلحة الأمة، وأساس المعاملات في الإسلام هو الحرّية الاقتصاديّة المنظّمة والعدالة والمساواة وأداء الحقوق لقوله تعالى: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾– سورة المائدة،1، وعدم ظلم الآخر أو إلحاق الأذى به لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾– سورة النساء، 29، فالأصل في البيع الإباحة شرط تجنّب الرّبا والقمار والغش، فلا إكراه ولا إهمال لأنّ من شأن هذه الأخيرة أن تفسد العقود، وذلك من أجل حماية المجتمع من الاختلاف فالتّنازع، أمّا المسئولية الجنائية فتكون من أجل حفظ المن ونظام التّدين والأنفس والأعراض والأموال، فيعاقب الزناة والسكارى والقتلة والمخرّبون بما يتناسب وجرمهم لقوله تعالى: ﴿ولكم حياة في القصاص يا أولي الألباب﴾– البقرة، 179، وعقوبة القصاص أو الدية أو العفو هي ممّا يبرز وسطية شريعتنا واعتدالها[14].

- ✓ **تبني منهج التيسير في الفتوى:** من منطلق قوله تعالى: ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾– سورة البقرة، 185 وفي الحديث الشريف: "يسّروا ولا تعسّروا"، وبمقتضى القاعدة الفقهية "الضّرورات تبيح المحظورات"، كان الأصل في المنهج القرآني قائماً على التّخفيف والتّيسير في الفقه والفتوى، حيث حذّر الرّسول صلى الله عليه وسلّم من الغلوّ والتّنطع والتّشديد والتّعسير، وما أحوج واقعنا إلى ذلك بما أنّه طغت عليه المادّيات وتعطّلت فيه مصالح النّاس، وإذا كان لابدّ من التّشديد فليكن في الأصول لا الفروع[15].
- ✓ **اعتبار تأثير البواعث والنيات: يقول تعالى:** ﴿وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾– سورة البيّنة، 5، وفي الحديث النّبوي: "إنّما الأعمال بالنّيات وإنّما لكلّ امرئ ما نوى" –رواه الشيخان، ومنه قاعدة المعاملات: "الأمور بمقاصدها" ليكون أساس الأعمال وتحقيق الثّوابت هو النّيّة الطيّبة والإخلاص في العمل، فالباعث السيّئ ممّا يفسد العقود ويحرّمها، لأنّ من شأنه أن يصطدم بمقاصد الشّريعة الّتي تحرص على نقاء الظّاهر والباطن، فيكون الإخلاص والنّقاء هما محور العمل[16].
- ✓ **إحكام النظام الاقتصادي من خلال تقوية اقتصاد الأمة وبناؤه على فقه الشريعة:** على الأمة الإسلامية أن تكتفي اقتصادياً اكتفاءً ذاتياً وكذلك مدنياً وعسكرياً، وتبني اقتصادها على فقه الشريعة ومقاصدها من خلال تشجيع المصارف المالية والتّخطيط العلميّ، الّذي يزيد في الإنتاج ويرشّد الاستهلاك ويحقق عدالة التّوزيع، فلا رأسمالية ولا شيوعية[17].
- ✓ **ترسيخ مجال العلاقات الدولية وترسيخ مبدأ الّسلام:** مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾– سورة الرعد، 24، وقوله: ﴿يا أيّها الذّين آمنُوا ادْخلوا في السّلم كافّة﴾– سورة البقرة، 208، كانت القاعدة العامّة في علاقات المسلمين بغيرهم هي السّلم لا الحرب، والاعتداء لا يكون إلاّ لردّ العدوان ومقاومة المغتصب، وهنا ينبغي التّمييز بين الإرهاب الّذي هو عملٌ عنيفٌ غالباً ما يقف وراءه دافعٌ سياسيّ فيكون غير مشروعٍ، وبين الجهاد والمقاومة[18].
- ✓ **تشييد نظام الحكم الصّالح واتّباع النظام الأصلح في التّربية والتّعليم:** يقُوم نظام الحكم على العدل والشورى ورعاية الحقوق والالتزام بشريعة الله، فتختار الرّعية الحاكم القويّ الأمين الّذي تثق بكفايته ودينه فتنصحه وتطيعه في غير معصية، كما من حقّها أن تسائله وترشده وتقوّمه في حال الانحراف19، ولكي تتحقق هذه السّمات في الرّعية قامت التّربية في الإسلام على الحكمة والوسطية من أجل تحقيق التّوازن بين متطلّبات الرّوح والوجدان وغرائز الجسد، اعتماداً على أصولٍ إيمانيةٍ لأنّ الجيل عندما ينشأ نشأةً سويّةً يحقق صلاح الأمة20.
- ✓ **استمرار الدعوة والإرشاد:** الأسلوب الدعوي الرّشيد والمعتدل الّذي يتّسم بالتّعقل والوعي والحكمة والاعتدال، وحده يهيّئ النّفوس للقبول، ولهذا على الداعية أن يكون قدوةً أو أسوةً حسنةً متسلّحاً بسلاح المعرفة من جهة، وبالأناة والحلم واللّطف من جهةٍ ثانية، معتمداً[21]، وهذا يستدعي إتّباع أسلوب التّبشير والتّرغيب لا التّنفير والتّرهيب والتّدرج أيضاً.

✓ **التّلاؤم مع مقتضيات العصر ومتطلّبات الفقه الحضاري:** شريعة الإسلام شريعة مرنة صالحة لكلّ زمانٍ ومكان، وهي لهذا تنسجم مع مراعاة المصالح ودرء المفاسد، بوسعها أن تستوعب المستجدّات وما يطرأ من تغيّرٍ على واقع المجتمع، وفي هذا السّياق كانت مهمّة الاجتهاد بيد أهل الحلّ والعقد، والّذي يتطلّب كفاءةً وبمقدور ممارسيه أن يحققوا ما يعرف بمدلول الفقه الحضاري، الّذي يجمع بين ضوابط الشّريعة الإلهية ومقتضيات الواقع بمتغيّراته، حيث الوسطية أبرز معالمه[22].

المبحث الثاني: ركائزها (مبادؤها) في مصادر التّشريع.

كما تقدّم فقد ورد لفظ الوسطية في القرآن الكريم في مواضع مختلفةٍ تمسّ مختلف نواحي الحياة الإنسانية، وسواء تعلّق الأمر بالجانب العقائدي أو المعاملاتي.

المطلب الأول: الوسطية في القرآن الكريم.

- يقول تعالى: ﴿كذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ سورة البقرة- آية 143 وقد ذكر الطبري بأنّهم وسطٌ لتوسّطهم في الدين، فلا هم غلو كالنّصارى الّذين غلوا بالتّرهيب وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصيرٍ فيه، كاليهود الّذين بدّلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربّهم وكفروا به، ولكنّهم أهل توسّطٍ واعتدالٍ، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها، وأكّد بعض المفسّرين أنّ المراد ب "وسطاً" أنّه جعل من خصوصيّات هذه الأمة بأن جعلهم وسطاً في الخلق والخلْق والعلم والشّريعة الّتي شرعها لهم، كما قيل أنّها – وسطاً- تعني موقع ومكان الكعبة جغرافياً وهو الوسط الهندسي للأرض، وهو ما أكّده أحد الباحثين المعاصرين بأنّ الكعبة الّتي هي قبلة المسلمين تقع بمكة، وهي واقعة وسط العالم بالنّسبة لليابسة من جميع الجهات، وأنّ اليابسة على سطح الأرض موزّعة حول مكة توزيعاً منتظماً.

كما يعني "وسطاً" الحسن والفضل والاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه الحسّي المادي، في التّصور والاعتقاد، في التّفكير والشّعور، في التّنظيم والتّنسيق، في الارتباطات والعلاقات، في الزمان وفي المكان، وهناك من يرى أنّ المراد ب"أمة وسطا" أنّ الأمة الإسلامية جمع الله لها في دينها بين الحقين: حق الرّوح وحق الجسد[23].

- وفي قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾- سورة البقرة، 238، اختلف المفسّرون في المقصود بالصلاة الوسطى، ولخّص ابن الجوزي السّبب في ثلاثة محاور أو أقوال ثلاثة وهي: أوسط الصلوات محلاً، أو أوسطها مقداراً وعدداً للرّكعات، أو أفضلها، وما يستوقفنا في سياق هذه الآية هو تكامل جوانب الحياة الإسلامية لأنّ العبادة لا تنحصر في جانبٍ معيّنٍ، أما قوله تعالى: ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾- سورة المائدة، 79، فالمقصود أن يكون الطعام بين السعة والشدّة، وقد تعدّدت الرّوايات في سبب نزول هذه الآية[24].

وعن سعيد ابن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس قال: كان الرجل يقوّت أهله قوتاً فيه فضلٌ ويقوّت أهله قوتاً فيه دون، فنزلت الآية لتقول ليس بأرفعه ولا بأدناه، وفي تتبّع أقوال المفسّرين في معنى (التوسّط) نجد أنّ الخلاف عندهم ينحصر في قولين أحدهما: أنّ أوسطه هنا يكُون في القدر والقيمة، والجنس والأثر، والآخر من

حيث الجوع والشّبع، فلا يكون المأكول يفرط في أكله فيؤكل منه فوق القدر، ولا يكون دون المغني عن الجوع[25].

- أمّا في قوله: ﴿قال أوسطهم﴾- سورة القلم، 28، والمقصود هنا أعدلهم قولاً وأفضلهم فعلاً وأعقلهم، وخيرهم رأياً وعقلاً ونفساً، وفي القصص القرآني حيث وردت الآية عن أصحاب الجنة الّذين عزموا القيام بما يخالف حاجات النّاس من غير تقديرٍ للعواقب وفعلوا، ليجدوا جنّتهم قي أبيدت عن آخرها بسبب ما عزموا القيام به من إلحاق الضّرر بمساكين لا حول لهم، وأوسطهم هو من نبّههم إلى ضرورة الاعتراف بذنبهم وتنزيه الذّات الإلهية عن الظلم. أمّا الوسطية في قوله تعالى: ﴿فوسطن به جمعاً﴾- سورة العاديات، آية 5، فتعني توسّط المكان، حيث أصبحوا في وسط العدو أو جموع الأعداء[26].

المطلب الثاني: الوسطية في السنة النبوية.

حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من مغبّة الغلو والتطرّف، وحثّ منهجه على الاعتدال والوسطية، والأحاديث الّتي وردت في هذا الشأن كثيرةٌ جداً، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط غلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته صلى الله عليه وسلم، فلمّا أخبروا كأنّما تقالوها فقالوا: أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قال أحدهم: أمّا أنا فإنّي أصلّي اللّيل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النّساء فلا أتزوّج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الّذين قلتم كذا وكذا؟ والله إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوّج النّساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي)- رواه البخاري، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على توازن شريعتنا وأخذها الإنسان بما يقدر، بحيث جعلته يقوم بواجباته ويوفّق بينها وبين متطلّبات الحياة، فلا مغالاة ولا إفراط ولا تفريط، لكلّ جانبٍ حقّ ونصيب، وهذا تماشياً مع المنهج الرّباني ومع الفطرة أيضاً[27].

وعن أنس رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلّم: (يسّروا ولا تعسّروا وسكنوا ولا تنفّروا)- رواه البخاري، والمراد بالتّيسير الأخذ بما هو أسهل لينشط النّاس في العمل، و(سكنوا) من التّسكين ضدّ التّحريك، والمراد إدخال الطمأنينة والهدوء على النّفس، فهذا دين الفطرة الّتي تنفر من الشدّة والعنف[28]. والمعنى ممّا تقدّم أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم كان يربّي أصحابه على التّوازن والاعتدال وعلينا أن نقتدي به في القول والعمل.

المطلب الثالث: ركائزها (مبادؤها) في مصادر التّشريع.

كما تقدّم فقد ورد لفظ الوسطية في القرآن الكريم في مواضع مختلفةٍ تمسّ مختلف نواحي الحياة الإنسانية، وسواء تعلّق الأمر بالجانب العقائدي أو المعاملاتي.

الفرع الأول: الوسطية في القرآن الكريم.

- يقول تعالى: ﴿كذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ سورة البقرة- آية 143 وقد ذكر الطبري بأنّهم وسطٌ لتوسّطهم في الدين، فلا هم غلو كالنّصارى الّذين غلوا بالتّرهيب وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصيرٍ فيه، كاليهود الّذين بدّلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربّهم وكفروا به، ولكنّهم أهل توسّطٍ واعتدالٍ، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها، وأكّد بعض المفسّرين أنّ المراد ب "وسطاً" أنّه جعل من

خصوصيّات هذه الأمة بأن جعلهم وسطاً في الخلق والخلْق والعلم والشّريعة الّتي شرعها لهم، كما قيل أنّها – وسطاً– تعني موقع ومكان الكعبة جغرافياً وهو الوسط الهندسي للأرض، وهو ما أكّده أحد الباحثين المعاصرين بأنّ الكعبة الّتي هي قبلة المسلمين تقع بمكة، وهي واقعة وسط العالم بالنّسبة لليابسة من جميع الجهات، وأنّ اليابسة على سطح الأرض موزّعة حول مكة توزيعاً منتظماً.

كما يعني "وسطاً" الحسن والفضل والاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه الحسّي المادي، في التّصور والاعتقاد، في التّفكير والشّعور، في التّنظيم والتّنسيق، في الارتباطات والعلاقات، في الزمان وفي المكان، وهناك من يرى أنّ المراد ب"أمة وسطا" أنّ الأمة الإسلامية جمع الله لها في دينها بين الحقين: حق الرّوح وحق الجسد[29].

– وفي قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾– سورة البقرة، 238، اختلف المفسّرون في المقصود بالصلاة الوسطى، ولخّص ابن الجوزي السّبب في ثلاثة محاور أو أقوال ثلاثة وهي: أوسط الصلوات محلاً، أو أوسطها مقداراً وعدداً للرّكعات، أو أفضلها، وما يستوقفنا في سياق هذه الآية هو تكامل جوانب الحياة الإسلامية لأنّ العبادة لا تنحصر في جانبٍ معيّنٍ، أما قوله تعالى: ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾– سورة المائدة، 79، فالمقصود أن يكون الطعام بين السعة والشدّة' وقد تعدّدت الرّوايات في سبب نزول هذه الآية[30].

وعن سعيد ابن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس قال: كان الرجل يقوّت أهله قوتاً فيه فضلٌ ويقوّت أهله قوتاً فيه دون، فنزلت الآية لتقول ليس بأرفعه ولا بأدناه، وفي تتبّع أقوال المفسّرين في معنى (التوسّط) نجد أنّ الخلاف عندهم ينحصر في قولين أحدهما: أنّ أوسطه هنا يكُون في القدر والقيمة، والجنس والأثر، والآخر من حيث الجوع والشّبع، فلا يكون المأكول يفرط في أكله فيؤكل منه فوق القدر، ولا يكون دون المغني عن الجوع[31].

– أمّا في قوله: ﴿قال أوسطهم﴾– سورة القلم، 28، والمقصود هنا أعدلهم قولاً وأفضلهم فعلاً وأعقلهم، وخيرهم رأياً وعقلاً ونفساً، وفي القصص القرآني حيث وردت الآية عن أصحاب الجنة الّذين عزموا القيام بما يخالف حاجات النّاس من غير تقديرٍ للعواقب وفعلوا، ليجدوا جنّتهم قي أبيدت عن آخرها بسبب ما عزموا القيام به من إلحاق الضّرر بمساكين لا حول لهم، وأوسطهم هو من نبّههم إلى ضرورة الاعتراف بذنبهم وتنزيه الذّات الإلهية عن الظلم. أمّا الوسطية في قوله تعالى: ﴿فوسطن به جمعاً﴾– سورة العاديات، آية 5، فتعني توسّط المكان، حيث أصبحوا في وسط العدو أو جموع الأعداء[32].

الفرع الثاني: الوسطية في السنة النبوية.

حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من مغبّة الغلو والتطرّف، وحثّ منهجه على الاعتدال والوسطية، والأحاديث الّتي وردت في هذا الشأن كثيرةٌ جداً، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط غلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته صلى الله عليه وسلم، فلمّا أخبروا كأنّما تقالوها فقالوا: أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قال أحدهم: أمّا أنا فإنّي أصلّي اللّيل

أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النّساء فلا أتزوّج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الّذين قلتم كذا وكذا؟ والله إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوّج النّساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي)- رواه البخاري، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على توازن شريعتنا وأخذها الإنسان بما يقدر، بحيث جعلته يقوم بواجباته ويوفّق بينها وبين متطلّبات الحياة، فلا مغالاة ولا إفراط ولا تفريط، لكلّ جانبٍ حقّ ونصيب، وهذا تماشياً مع المنهج الرّباني ومع الفطرة أيضاً[33].

وعن أنس رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلّم: (يسّروا ولا تعسّروا وسكنوا ولا تنفّروا)- رواه البخاري، والمراد بالتّيسير الأخذ بما هو أسهل لينشط النّاس في العمل، و(سكنوا) من التّسكين ضدّ التّحريك، والمراد إدخال الطمأنينة والهدوء على النّفس، فهذا دين الفطرة الّتي تنفر من الشدّة والعنف[34]. والمعنى ممّا تقدّم أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم كان يربّي أصحابه على التّوازن والاعتدال وعلينا أن نقتدي به في القول والعمل.

خاتمة:

نستنتج ممّا تقدّم وكما يرى حسن حنفي أنّ مستقبل الوسطية يشكّل في مجتمعاتنا وفي ثقافتنا العربيّة الإسلاميّة جزءاً من كلّ[35]، ونحن أحوج ما نكوّن إلى بناء الإنسان الرّسالي الّذي ينشغل بمشاكل الأمة وبناء حضارتها فينبذ أطروحات الصّراع الحضاري والعولمة ونهاية التّاريخ المغرضة، والّتي عملت ولا تزال على بثّ روح العداء وتكريس المركزيّة الغربيّة، ممّا انجرّ عنه جملة فتنٍ وحروبٍ تدميريةٍ أزهقت الأرواح وسحقت الشّعوب، فمسّت المجتمعات الإسلامية في عقر دارها، ولهذا علينا أن نعي بأنّ الغرب سيظلّ يسعى إلى الصّدام من جديدٍ، وبمقتضى ذلك علينا التنبّه إلى محاولات تشتيت جهود الأمة في تفريغ النّشاط في جدالٍ ونقاشٍ حول موضوعاتٍ مفتعلةٍ ومصطنعةٍ تحت شعاراتٍ ظاهرها الرّحمة وباطنها العذاب، كتبادل الاتّهامات داخل الصّف المسلم وشيوع الخطاب الإعتذاري، وتحويلنا من ضحايا إلى جناةٍ وإدمان جلد الذّات، والبحث في السّلبيات وتضخيمها، وكلّ ذلك يصبّ في النّهاية في صالح تبرئة الخصم[36]، بالإضافة إلى العمل على وضع حدٍ لحالات الاحتقان داخل المجتمعات العربيّة والإسلاميّة والمواقف المتشنّجة، ووقف أساليب التّشهير والنّيل من الآخر وممارسة العمل الدّعوي القائم على الحكمة والموعظة الحسنة من منطلق قاعدة لا إكراه في الدين، لأنّ الاعتراف بالآخر جزءٌ من عقيدة المسلم.

وكما يرى القرضاوي فإنّ الوسطية تحتاج إلى مناخٍ ديمقراطيّ يسمح بحرّية الفكر وتبادل الرّأي[37]، وهي تعني النّظام الفكريّ أيضاً، وسماع الرّأي الآخر وتبادل المشورة، وليست تنازلاً عن الدّعوات والمطالب بل حصولٌ عليها بالتّقارب لا التّحايل طبقاً للآية الكريمة: ﴿وجادلهم بالّتي هي أحسن﴾- سورة النّحل 126، وذلك على الرّغم من أنّنا في بلداننا العربية لا زلنا نعيش استبداداً سياسياً[38]، فإنّ اللّجوء إلى القوة العسكرية سيظلّ تعبيراً عن إفلاسٍ حضاريّ قيميّ وفشلٍ في التّواصل.

---

[1] إبراهيم العجلوني، **حول مفهوم الوسطية**، ضمن: أعمال المؤتمر الدولي 1، عمان 2004، ص ص(38-39).

[2] حسن حنفي، **مستقبل الوسطية في الثقافة العربية الإسلامية**، ص ص(6-8).

[3] حسن حنفي، **مستقبل الوسطية في الثقافة العربية الإسلامية**، ص 9.

[4] ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد 9، (لبنان: دار إحياء التراث العربي)، ط1، 2010، ص ص(220-221).

[5] المرجع نفسه، ص 222.

[6] المرجع نفسه، الصفحة عينها.

[7] يوسف القرضاوي، **الخصائص العامة للإسلام**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983)، ط2، ص 127.

[8] يوسف القرضاوي، **كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها**، (مصر: دار الشروق، 2011)، ط3، ص16.

[9] المرجع نفسه، ص ص(17-18).

[10] أحمد الشرباصي، **الموسوعة الشرباصية في الخطب المنبرية**، (بيروت: دار الجيل، 1995)، د.ط، ج2، ص ص(223-225).

[11] عبد العزيز الخياط، "**الوسطية في الإسلام**" ضمن: أعمال المؤتمر 1، عمان، 2004، ص382.

[12] المرجع نفسه، ص ص(384-385).

[13] يوسف القرضاوي، **كلمات في الوسطية ومعالمها**، ص ص(25-26).

[14] وهبه الزحيلي، **وسطية الإسلام وسماحته**، متاح على: http://www.assakina.com/files/books/book4.pdf اطلع عليه يوم: 1/10/ 2018 على 17.00 ، ص ص(9-10).

[15] يوسف القرضاوي، **كلمات في الوسطية ومعالمها**، ص45.

[16] وهبه الزحيلي، **وسطية الإسلام وسماحته**، ص 11.

[17] يوسف القرضاوي، **كلمات في الوسطية ومعالمها**، ص ص(51-52).

[18] وهبه الزحيلي، **وسطية الإسلام وسماحته**، ص 12

[19] يوسف القرضاوي، **كلمات في الوسطية ومعالمها**، ص ص(51-52).

[20] وهبه الزحيلي، **وسطية الإسلام وسماحته**، ص15.

[21] المرجع نفسه، الصفحة عينها.

[22] المرجع نفسه، الصفحة عينها.

[23] عصام صالح أحمد راجح، **الوسطية ومظاهرها في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)**، رسالة ماجستير- (السودان: جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، 2016)، ص ص(10-12).

[24] المرجع نفسه، ص ص(16-18).

[25] المرجع نفسه، ص 20.

[26] المرجع نفسه، ص ص(21-22).

[27] عصام صالح أحمد راجح، **الوسطية ومظاهرها في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)**، ص ص(23-24).

[28] المرجع نفسه، ص 27.

[29] عصام صالح أحمد راجح، **الوسطية ومظاهرها في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)**، رسالة ماجستير- (السودان: جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، 2016)، ص ص(10-12).

[30] المرجع نفسه، ص ص(16-18).

[31] المرجع نفسه، ص 20.

[32] المرجع نفسه، ص ص(21-22).

[33] عصام صالح أحمد راجح، **الوسطية ومظاهرها في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)**، ص ص(23-24).

[34] المرجع نفسه، ص 27.

[35] المرجع نفسه، ص5.

[36] عامر عبد المنعم، **صورة الغرب في العالم الإسلامي "الغرب يسعى للصدام من جديد"**، ضمن: أعمال المؤتمر 1، عمان، 2004، ص 314.

[37] يوسف القرضاوي، **الخصائص العامة للإسلام**، ص 49.

[38] حسن حنفي، **مستقبل الوسطية في الثقافة العربية الإسلامية**، ص 30.

قائمة المراجع:

كتب:

-عبد الرحمن عبد العزيز السديسي، **بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال**، الرياض، مدار الوطن للنشر، 2017، ط3.

-يوسف القرضاوي، **الخصائص العامة للإسلام**، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983، ط2.

-يوسف القرضاوي، **كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها**، مصر، دار الشروق، 2011، ط3.

-أحمد السحمراني، **الإسلام والآخر**، لبنان، دار النفائس، 2005، ط1.

-أحمد الشرباصي، **الموسوعة الشرباصية في الخطب المنبرية**، بيروت، دار الجيل، 1995، د.ط، ج2.

مداخلات:

-حسن حنفي، "**مستقبل الوسطية في الثقافة العربية الإسلامية**" في: ندوة "مستقبل الثقافة العربية الإسلامية الوسطية"، الإمارات- ماي 2013- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1، 2014.

-عبد العزيز الخياط، وسطية الإسلام بين الفكر والممارسة، أوراق عمل المؤتمر الدولي الأول- عمان 2004- عمان منتدى الوسطية للفكر والثقافة (2007).

رسائل جامعية:

-عصام صالح أحمد راجح، **الوسطية ومظاهرها في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)**، رسالة ماجستير- (السودان: جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، 2016).

معاجم:

-ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد 9، (لبنان: دار إحياء التراث العربي)، ط1، 2010.

مواقع إلكترونية:

-وهبه الزحيلي، **وسطية الإسلام وسماحته**، متاح على: http://www.assakina.com/files/books/book4.pdf

References

-Abd al-Rahman Abd al-Aziz al-Sudais, Reaching Hopes for Moderation and Moderation, Riyadh, Madar al-Watan for Publishing, 2017, 3rd Edition.

- Yusuf Al-Qaradawi, General Characteristics of Islam, Beirut, Al-Risala Foundation, 1983, 2nd Edition.

- Youssef Al-Qaradawi, Words on Islamic moderation and its features, Egypt, Dar Al-Shorouk, 2011, 3rd edition.

Ahmed Al-Sahmarani, Islam and the Other, Lebanon, Dar Al-Nafais, 2005, 1st edition.

- Ahmed Al-Sharbasi, Al-Sharbasiyah Encyclopedia of Minbar Speeches, Beirut, Dar Al-Jeel, 1995, Dr. I, Part 2.

interventions:

- Hassan Hanafi, "The Future of Moderation in Arab-Islamic Culture" in: Symposium "The Future of Moderate Arab-Islamic Culture", UAE - May 2013 - Emirates Center for Strategic Studies and Research, 1st edition, 2014.

Abdel Aziz Al-Khayyat, Moderation of Islam between Thought and Practice, Working Papers of the First International Conference - Amman 2004 - Amman Forum of Moderation for Thought and Culture (2007).

University papers:

Essam Salih Ahmed Rajeh, moderation and its manifestations in the Holy Qur'an (an objective study), a master's thesis (Sudan: The University of the Holy Qur'an and the Origination of Sciences, 2016).

Dictionaries:

- Ibn Manzoor, Lisan Al-Arab, Volume 9, (Lebanon: Dar Al-Turath Al-Arabi), 1st Edition, 2010.

Websites:

Wahba Al-Zuhaili, Moderation and Tolerance of Islam, available at: http://www.assakina.com/files/books/book4.pdf